رؤيـــة

■ ساطع راجي

الرغبات خلف النصائح

تخلّـى الأمريـكان والأوربيـون عن القيـادات الكردية بطريقـة ودرجة لم يتوقعها أو يحلم بها أشد اعداء هذه القيادات خصومة، كان سبب التخلّي العاصف هو عدم استماع القيادات الكردية لنصائح الأمريكان والأوربيين في موضوع الاستفتاء، هذا درس واضح لمن لا يستمع للنصائح التي تعبر عـن رغبات، فهـذا العالم ليس سائباً بل فيه قـوى مركزية لا يجب عبادتها ولكن لا بد من أخذها في الحسبان.

ليسـ في العـراق شأن داخلي مـن تعيين رئيس الـوزراء الى تعيين عمال البلديات، لذلـك عندما تطرح واشنطن أو العواصـم الاوربية نصائح في الشـأن العراقي يجب أن تأخذها القيـادات العراقية على محمل الجد وأن لا تحولهـا الى تهريـج انتخابي واستعراضات اعلاميـة داخلية حتى ولو كانت تتعلـق بالحشد الشعبي كما جاء في تصريحـات الرئيس الفرنسي إيمانويـل ماكرون خلال مؤتمر صحفي مع رئيس حكومة اقليم كردستان نيجيرفان بارزاني، حيث بدا ماكرون داعما لوحدة العراق بطريقة ألزمت بـارزاني تأكيـد احترامـه قـرار المحكمـة الاتحاديـة الرافض لأيّ عملية انفصـال، وانتهى المتحدثان عن نقطة واحدة هي الالتزام بالدستور الذي يمنـع الانفصال كما يمنع امتلاك الأحزاب لقـوات مسلحة، طبعاً الاشارة الفرنسيـة كانت شاملة وهي تعني قـوات الأحزاب الكردية بنفس الدرجة المقصـود بها الشيعية، ففـي أزمة كركوك تبيّن بوضـوح الإدارة الحزبية لوحـدات البيشمركـة، لكن فرنسـا الوسيطـة المعنية بحل مشـاكل بغداد وأربيـل تعـرف أن وجود قـوات تركمانيـة تحمل اسم الحشـد في مقابل قوات كردية لن يسهّل مهمتها.

يمكننـا القـول للعالم يوميـاً، إن الفصائل المسلحة تخضـع جميعها لهيئة الحشـد الشعبي لكـن ايّ مراقب أجنبي يمكنه بسهولـة اكتشاف الانتماء السياسـي لكل فصيل، والقادة السياسيـون للفصائل يتفاخرون بقيادتهم لفصائـل عسكريـة، واذا أخذنا بنظـر الاعتبار التنـوع القومي والطائفي للقـوى المسلحة التي تنتشر في المناطق المتنازع عليها سنكون أمام خلطة متفجـرات لا تهدد فقط بإشعال مواجهة تخـرب الوساطة الفرنسية وإنما تهدد أيضاً بتفجير نـزاع مع القوات الامريكية المنتشرة في نفس المناطق والمتجهة للتوسع في تواجدها لتحقق ما اقترحته واشنطن قبل انسحابها نهايـة ٢٠١١، حيث أراد الأمريكان الابقاء على قواعد لقواتهم في المناطق القلقة أمنياً وعندما استعصى الأمر اقترحوا تواجدهم في شريط المناطق المتنـازع عليهـا، وهو ما لم يتحقـق آنذاك، لكن الحـرب مـع داعش حققته، لقـد كانت تلك أيضاً رغبـة امريكية جاءت على شكل نصيحة لم يستمع لها العراقيون.

إن محـاولات تصويـر الدمـج الحقيقـي للمتطوعين في الحشـد بالقوات الأمنيـة العراقيـة علـى أنه تخلي عـن هـؤلاء المقاتلين الأبطـال وتجاهل لتضحياتهـم، هـو خلـط سياسـي خبيث يريـد بـه الساسة سرقـة فتوى المرجعيـة لتشكيـل قوات حزبيـة لفرض إرادات سياسية، وهـو اسلوب تعتمده قوى سنية وكردية ومسيحية وشبكية وتركمانية.

يمكـن تجاهل كل النصائح والرغبات والتهديدات العلنية والمبطنة للقوى الغربيـة والذهـاب الى العنـاد المطلق، لكـن علينا توقع نتائـج مشابهة لما حـدث من عناد على خروج آخر جنـدي أمريكي وخوض مزيد من المعارك وهدم مدن أخرى وظهور داعش جديدة، أو الذهاب فعلاً نحو اعادة هيكلة كل القوى المسلحة للمكونات والأحزاب واخضاعها للدولة فعلا.

يمكننا القول للعالم يومياً، إن الفصائل المسلحة تخضع جميعها لهيئة الحشد الشعبي لكن ايّ مراقب أجنبي يمكنه بسهولة اكتشاف الانتماء السياسي لكل فصيل.

الدولة غير المكتملة أو اللا دولة

الإخفاق في إنشاء سردية للهويات والذاكرة المؤسسة للمخيال السياسي العراقي

(٣-٣)

□ يوسف محسن

تشكّل الأساطير التاريخية والثقافية، أداة فعّالة في ترسانة الدولة للسيطرة والهيمنـة الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسية، وبعكس ذلك فإن الدولة تقـع في فـخ التصـدع والتشقـق إذا مـا تجاهلـت استحضـار الأساطير، خصوصـاً في فـترات التغيـرات الاجتماعيـة الكـبرى. إن تفحّـص عمليـة بنـاءات وتشـكل الدولـة في العـراق الحديـث مابعد العـام ٢٠٠٣ تلـك العمليـة غـير المكتملة لحـد الآن، نـرى أن المجتمـع العراقـي والنخـب السياسيـة لم تتـبنَ نموذجـاً مشتركاً للمجتمـع السياسـي، هنـاك نمـاذج تنازعيـة في مـا يتعلـق بهـذا النسق، لكون العراق محكوم الآن بسلسلة من الأحزاب الاثنيـة والطائفية والدينية والقوميـة، وهـذه المؤسسـات تحتكم الى مجـالات ايديولوجيـة متباينـة ومتعددة في المجال السياسي وضعف واضح وهشاشة للجماعات الليبرالية والعلمانيـة. فضـلاً عـن ذلـك أن الجماعات أو المكونات العراقية بغض النظر عـن القومية والديـن والطائفة والاثنية والخيارات الايديولوجية، لا تمتلك شراكـة ثقافية/ أيقونة رمزية- رأسمـال سياسـي تجمـع عليـه، فهي تعيـش في فضاءات وانغلاقات ثقافية وهذا يفسر جـزءاً من المشكلة في عدم استقـرار المجتمـع العراقـي سياسيـاً واقتصاديـاً، كمـا أن غيـاب المجتمـع السياسي يرتبط بغياب هوية جماعية مؤسسـة للدولة السياسيـة العراقية، حيـث أن اعـادة انتـاج أيّ حـدث أو رمـز تأريخي يـؤدي الى تصدع العقد الاجتماعي العراقي.

لنأخـذ (شخصيـة عبد الكـريم قاسم) ونـرى حجـم التشـقق والتلويـنات في الذاكـرة التاريخيـة العراقيـة، ففـي اللحظـة التي تحتفـل الجماعات اليساريـة والديمقراطيـة بثـورة عبدالكريم قاسم تكون جماعات الملكية الدستوريـة تنصب التعـازي بانقلاب قاسم الدمـوي ومجـزرة القصر التي راح ضحيتهـا الملـك والملكـة العجـوز والأميرات قتل وسحل وبتر الأعضاء، في حين توصم الجماعات القومية عبد الكريم بالشعوبية والإقليمية وانتهاك القانون والدكتاتورية الفردية.

شيطنة الآخر

نكتشف خطوط التقاطع والإنفصال بين الجماعـات العراقية فكريـاً وتاريخيـاً، فضـلاً عن المخزون الثقافي في الذاكرة العراقيـة، حيـث لم يخضـع للتفحص النقـدي وهـو أحـد عوامـل الفشـل التاريخي في حقل الاختلاف السياسي واشتغـال الآليـات الايديولوجية عبر شيطنـة (الاخـر) العراقـي وتأجيـج الذاكـرة التاريخيـة والفقهيـة والتـي تحتفـظ بقوتهـا الاستيهاميـة حيـث تتوالد داخل العقل الجمعي الشعبوي. إن النخبة السياسية العراقية والنخب الثقافيـة (اعـادت) وتعيـد هشاشـة المجتمع العراقي القائمة على العلاقات العصبوية والمجتمع الأهلي والمذهبية والاقوامية والتـي تحولـت الى بنيـة مؤسساتيـة داخـل المجتمـع والدولة، وهـذا دليـل علـى فقـدان المشـروع السياسـي العراقي القـدرة على انشاء مجتمع مدني وسياسي حديث وضعف الاندماج المجتمعي.

إن الذاكـرة النابية أو التي تتسم بعدم معرفـة الآخـر هـي انتـاج السرديـات القوميـة العربيـة، حيـث لعبـت هـذه الايديولوجيـة دور العامـل المركـزي في كشف الاختلافـات وتعين الثقافات ومارست العنـف المنظـم، وكذلك فشل ظهـور الدولـة أدى الى أن كل جماعـة مـن الجماعـات العراقيـة أسّسـت شفراتهـا الايديولوجيـة وصيغهـا الخاصـة ومنظريهـا التكوينيـين، لذا فـإن الذاكرة التركيبية بـين الجماعات العراقيـة، تمثـل انتاجاً فائض القيمة الرمزيـة للمجتمـع، حيـث نـرى أن الجماعـات المتباينـة والمختلفـة طـول مسـار تاريـخ الدولـة العراقيـة كانت تحاول احتكار الخطابات والسياسات والستراتيجيـات الثقافيـة والبرامـج للسيطـرة علـى انتاج القيـم والحقوق والمنافـع العامـة، فضلاً عـن ذلك انتاج المعنـى وبخاصـة في التركيبـات الطائفيـة والقوميـة والاثنيـة داخـل سيرورات التصنيف والتمثيل.

إن هـذه سرديـات الذاكـرة التركيبيـة الحاليـة تجسّـد الفشـل الأخلاقـي والحضـاري العميـق الجـذور داخـل بنية المجتمع العراقي، حيث أنها تشكّل القسـم الاكبر من التاريـخ المكبوت في العقـل الجمعي، هذه السرديات منظّمة بمهـارة فائقة، وتخـترق تكوين العقل الجمعي.

الخروج من الهوية المركزية

بناء أساطير وسرديات للذاكرة العراقية مشـروع سياسـي تأسيسـي مرهـون بتغيـر الحقـل السياسـي العراقـي، وتجاوز العناصر الطوطمية في تأريخ الثقافة العراقيـة، وتحديث المؤسسات الاقتصاديـة والاجتماعيـة وفتح حوار عقـلاني تنويـري لاستيعـاب الآخـر التعـددي الدينـي والقومـي والاثنـي للخروج التام من دين التوتاليتارية.

ويتطلـب وضـع ستراتيجيـة تسميـة جديد للهويـات والاثنيـات والقوميات والأديـان، وبخاصـة بعد العـام ٢٠٠٣ وتحول المجتمـع العراقـي الى مجتمع متعـدد دستوريـاً وتجـاوز البنيـة الاحاديـة السكانيـة للهويـة. وفي هذه النقطـة المفصليـة يمكـن اكتشـاف / الآخر/ الكـردي والتركماني واليهودي والكلـد آشـوري واليزيـدي وكل التنوعـات الأخـرى، عبر كسـر الهوية المركزية التي تدمّـر التعايش وتتجاوز مفاهيـم التسامـح والـذي هـو مجـرد تسويـة مؤقتة نحو الاعـتراف المتبادل بالوجـود البشـري وعـدم احتـكار المشروعية والاعـتراف بالآخر كشريك فاعـل وتأسيـس لثقافة وطنيـة عراقية ثقافـة تنويريـة عقلانيـة داخـل بنـى تقليديـة بـدون آليات الحـذف والصهر للثقافـات الفرعية التي تمثّـل المكونات التاريخيـة للمجتمـع العراقـي، سـواء أكانـت الثقافة الكرديـة أم الايزيدية أم الصابئـة أم التركمانية أم الاشورية أم الكلدانيـة أم الثقافة السنية أم الشيعية أم العلمانيـة أم الليبراليـة الحديثـة. كمرحلـة اوليـة يتطلـب العمـل تحقيق قطيعـة معرفيـة مـع الرؤيـة الأحاديـة القائمـة داخل النظام الثقـافي العراقي والانتقـال مـن الثقافـة المؤسساتيـة المركزيـة الى النظام الثقـافي التعددي اللا مركـزي وقـراءة تاريـخ المجتمـع العراقـي كجـزء مـن التاريـخ العالمـي الكـوني، وليـس كوحـدات منفصلـة، وإنمـا كصـيرورة تاريخيـة وتسميـة مراكز الابحـاث والدراسات التاريخية والاقتصاديـة والفلسفيـة والجغرافية لطبيعة الجماعـات والمكونات العراقية واستخـدام المناهـج المعرفيـة الجديدة وسلسلـة المقـولات والمفاهيـم الحديثة ونقـد الجـذور النظريـة والمعرفيـة للكتابات المنتجة داخل تمثيلات النظام الثقـافي العراقـي، هو الدرس العلمي الموضوعي الأولي لإنهاء شكل من اشكال الرؤيـة الاحادية المؤسساتيـة الثقافية ورفـض الذهنيـة الاستبداديـة وآليات القهر والاخضاع واعـادة تشكيل وعي جماعي للوجـود الموضوعي للجماعات العراقيـة والسعـي نحـو العقلانيـة في تأسيـس البنـى الثقافيـة لتجـاوز العقليـة الدوغمائية والتفـرد والتسلط وممارسـة نقـد جـذري للتركيبـات السياسيـة الاقصائية التي هيمنت على الثقافـة العراقية ضمن مرحلة تاريخية طويلـة وبناء دولـة القانـون لإضعاف تأثـير القـادة السياسيـين والدينيـين التقليديين واحداث تراكمات رأسماليةٍ يمكن أن تـؤدي دوراً وظائفيـاً وعاملاً سياسيـاً وفكريـاً واجتماعيـاً في قيـام عناصر الفصل بمختلـف اشكالـه في المجتمـع التـي تمثل حجـر الزاوية في بنـاء انساق ثقافيـة، فضلاً عـن المكانة التأريخيـة للمثقفـين في تشكيل المشهد الفكـري العراقـي بالشراكـة مـع الفكر التنويـري العالمـي وممارسـة الـدور النقـدي للمؤسسات الراكـدة في النهج السياسـي والاجتماعـي العراقي وفي انتـاج الافـكار والتصـورات واعـادة بناء المجـال المجتمعي للرؤيـة الثقافية وذلـك لتجـاوز الانشقاقـات السياسية والدينيـة والقومية للمجتمـع العراقي لتسهم المؤسسـات السياسية في اعادة تماسك الأفراد والجماعات.

توصيفات للبناءات الحيّة

إن الإسهـام في بلـورة رؤيـة للثقافـة الوطنيـة العراقيـة مندمجـة بالمشروع التعددي للدولة العراقية يتطلب تحديد مفهـوم الثقافة بوصفهـا مركباً عضوياً مـن الثقافات الفرعيـة وتشمل المعارف والمعتقدات والفـن والقانون والأخلاق والتقاليد والقيم والطقوس والحكايات الخرافيـة وكل القابليات التي يكتسبها الانسان أو الجماعة. هذه المجموعة من التوصيفـات تتفاعـل فيمـا بينها لخلق رؤية مشتركة مرتبطة بالتراث الثقافي الانساني للمجتمع العراقي وهو امتداد للبنـاءات الحيّة التي تمتد جذورها الى التراث الرافديني والسومري والتراث الاسلامـي وتشـكل الهويـة الجماعيـة للثقافة العراقية الوطنية.

إن هـذا الإسهـام مسألة بالغـة الاهمية لكونهـا التاريخ المركّـب للثقافات الذي يمر عبر التواصـل التاريخي لاستعادة الهويـة الوطنيـة العراقيـة ضمن اطار يصبح فيـه التنوع والتعدد والاختلاف قوة في انتاج المعنـى ولا يمكن تحقيق هـذا المشروع إلا ضمـن مجتمع تتشكل فيـه المؤسسات ويرتبـط ببناء عناصر المجتمـع المـدني وتـداول السلطـة سلمياً وتحديث انسـاق الدولة والنمو الاقتصـادي واستقرار البنى والتوازن البشري وفتح حـوار تنويري بالتوجه صوب العقلانية السياسية.

هـذه التحديـدات والتعيينـات تؤسس ميثاقـاً ثقافيـاً أو خارطـة للطريـق تتضمـن حسـب توصيفـات كاظـم حبيـب. الإقـرار بوجـود تعـدد وتنوع ثقـافي في العـراق مـن الناحيتـين القوميـة والفكريـة واحـترام ذلك فتح المجـال رحبـاً لتفاعـل وتطـور وتلاقح هذه الثقافـات. الابتعاد كليـاً عن ثقافة العنـف والاقصـاء والشمولية ورفض الرأي الآخـر والاعتراف بوجود الآخر واحترامـه وفسـح المجـال لـه للتعبير عـن نفسـه وابداعاتـه. الإقـرار بـأن الحيـاة الثقافية للفـرد والمجتمـع تبدأ بالتربيـة المنزلية والمدرسـة والجامعة وبمضامـين واساليـب الإعـلام المرئي والمسمـوع والمقروء والمنقـول شفاهاً، وهـي العمليـة التـي يفترض العناية بهـا، وأن يتحقـق التغيـر والتنويـر والاصـلاح لتسهـم في خلـق البنيـة الثقافية العراقية الديمقراطية الجديدة والحديثـة والاقتنـاع بـأن الثقافـة غـير مستقـرة بل هـي في حركـة دائبة ومتطـورة وقابلـة للانتقـال والتفاعل والتلاقـح مـع الثقافـات الأخـرى في العـالم، ولهـذا فـإن الانغـلاق علـى الـذات يقتل الثقافـة ويدمّـر عناصرها الابداعية. حق جميع الثقافات بتنوعها الداخلي (أدب وفنون وعلوم في التمتع بحرية الإبـداع والتنافس الديمقراطي في اجـواء الحريـة والديمقراطيـة). التراث والاصالة جانب واحد، في حين تشكّل الحداثـة والتلاقح مـع الثقافات الأخـرى الجانـب الثـاني مـن الفصـل الثقافي الابداعي، ويشكلان معاً وحدة عضويـة واحـدة، حيـث أن العمليـة الثقافيـة تستوجـب دراسـة الـتراث بعمـق وشمولية والاغـتراف العقلاني منـه وليس عيش الماضـي في الحاضر والاستنـاد إليـه في طـرح الجديـد والحديث. الحفاظ على الهوية الثقافية واغنائها لا يأتي عبر عزلها عن الثقافات الأخرى، بل ينفتح عليها والمشاركة في تقدمهـا وتأكيد قدرتها علـى الاستمرار والعطاء مع بقية الثقافات.

قضية للمناقشة

التفكير من خارج الدين

□ فريدة النقاش

نجح المشروع السياسي.الثقافي للرأسمالية الاحتكاريـة في فرض صراعـات الهوية في منطقتنـا، وتهميش كل من الصراع الوطني والصـراع الاجتماعـي. ودليل هـذا النجاح هـو انـدلاع الحـروب والطائفيـة والدينية والعرقية في كل من العراق وسوريا واليمن وليبيـا، وهـي البلـدان التـي تدفقـت عليها الأسلحـة والمقاتلون المرتزقـة من كل أنحاء العالم رافعين الرايات الدينية، والإعلاء من شأن الهويات الصغرى ما تحت القومية على حساب الهوية الوطنية واستبدال التضامن بين الشعوب ضـد الامبريالية والصهيونية بالإخوة الدينية أو الطائفية التي من شأنها التعتيـم على الاستغلال الطبقـي والنزعات العنصرية لتكـون إسرائيل هي الرابحة في منطقتنا فتصول وتجول بحرية في الأرض الفلسطينيـة التـي اغتصبتهـا واحتلتهـا، وتتكّل بشعبها وتواصـل بناء المستوطنات وهـدم بيـوت الفلسطينيـين وطـرد المزيـد منهـم، وغنى عـن البيان أن كل مـا حدث لنا استنـد إلى تواطـؤ الرجعيـة العربيـة مـع المشروع الامبريالي.

ومولّـت الرأسمالية الاحتكاريـة مشروعها الإمبريـالي. وهـو عنـوان أزمتهـا الكبرى .بأمـوال النفـط العربـي مـن دول الخليج، وأبـرز مثال علـى ذلك هو نصـف الترليون مـن الـدولارات (٥٠٠ مليـار) والتي دفعتها السعوديـة لترامـب خـلال زيارتـه لهـا في مايـو/ أيار الماضي.وتفصح هذه الحقائق بوضـوح بالـغ عـن نجـاح هـذا المشـروع الرجعـي والمتوحش في إرسـاء مجموعـة مـن الركائـز للانطـلاق منهـا إلى المرحلـة الجديـدة التـي تقـوم علـى تفتيـت الـدول الوطنيـة إلى كانتونات صغيرة على أساس الهويـات الصغـرى فيهـا لتتصـارع فيمـا بينها وتنسى تماماً مفهـوم الدولة الوطنية والعـدو المشـترك الـذي كان إسرائيـل والصهيونيـة في الماضـي القريب، وأصبح الآن الشيعة وإيـران.لم يمنع هذا الوضوح في الستراتيجيـات والأهـداف من انخراط جماعات من المثقفين. بينهم مثقفون نقديون في هـذه الصراعات طبقـاً لأصولهم الدينية أو الطائفيـة أو العرقيـة ، وقـام هـؤلاء بالإفاضـة في تقديم المـبررات التي جعلتهم يزيحون العناصر الجامعة للهوية الوطنية والقوميـة إلى الـوراء، وكأنهـم يقومـون. دون وعـي. بالمشاركـة في تنفيـذ المخطـط الامبريالي.

كيـف نحارب التطرف إذن ؟ ذلك هو السؤال الذي يطرحه الواقع المرير علينا جميعاً بعد أن تفاقمت العمليات الارهابية باسم الدين، واتسـع نطاقهـا لتشمـل العالم كلـه تقريبا، والمقصـود بالدين هنا هـو الدين الإسلامي رغـم أن كل الديانـات سـواء مسيحيـة أو يهودية، بوذية أو هندوسية قد ولدت أشكالا مـن التطرف والعنف وإن لم يبرزها الإعلام الإمبريـالي الـذي يتحكـم فيمـا يزيـد علـى الستين بالمائة من وسائل الإعلام . ومؤخرا فقط بـرز التطرف بل والعنصريـة البوذية حين انفجـرت قضيـة المسلمـين الروهينغا في بورمـا، وعـرف العالم كله شـكلا جديداً للعنصريـة والتعصب الـذي طرد المواطنين من بلادهم علـى غرار ما فعلـت الصهيونية بالفلسطينيـين قبل ما يزيد على ستين عاما. وبدلاً من القيام بنزع الغطاء الديني الزائف عـن صراعـات المصالـح لاقتسـام ثـروات الشعـوب واستنزافهـا، وصـولاً إلى إعادة الاستعمار العسكري إلى الحياة ... بدلاً من ذلك يسعى مثقفون عقلانيون مرموقون إلى خوض المعركة مع اليمين الديني على أرضية هـذا اليمين نفسه بالعـودة. مثلما يفعل هو. إلى الماضـي، بادعاء أن مـا يجري استلهامه من هـذا الماضي هو النزعـات التقدمية فيه، هـذه النزعـات التـي جـرى تهميشهـا على امتـداد التاريخ العربـي والإسلامي. ورغم الأهميـة البالغة لما يقوم به هؤلاء في ميدان الرؤية التاريخية الموضوعية لتراثنا ، إلا أن هذا الإبقاء على الصـراع دائراً على أرضية الفكـر الدينـي، ومـا يسمونـه هـم صحيح الديـن يعمل على تهميش وتغييب القضايا الأساسيـة، تلـك القضايـا التـي بلورتهـا بصـورة عبقريـة موجـات الانتفاضـات والثـورات في السنـوات العشـر الأخـيرة ، ولنذكـر مرة أخـرى أنه خـلال المظاهرات المليونية في ٢٥ يناير ٢٠١١ وفي ٣٠ يونيه ٢٠١٣، وفيمـا بينهما مـن أشكال الاحتجاج الجماعـي لم يجـر طرح شعـار ديني واحد، وقد بلور المتظاهرون المطالب في الشعارات الخمسـة كالتـالي: عيشـ . حريـة . عدالـة اجتماعيـة . كرامـة إنسانيـة . دولـة مدنية، وكأن الجماهـير المصريـة المسكونـة بروح الاحتجـاج علـى الظلم والاستغـلال، وعلى الاستبداد والفساد كأنها سبقت مثقفيها في طرح الرؤيـة العلمانيـة الديموقراطية ذات المضمـون الاجتماعي الواضـح على جدول أعمال المرحلة، ولم تجد نفسها مضطرة. لأيّ سبـب مـن الأسباب. علـى التراجع عن هذه الأهداف أمام ضغط اليمين الديني، ولم تكن مضطرة أيضاً لخوض معاركها الكبرى على أرضيتـه، وهي تجتذب إليهـا غالبية القوى الاجتماعيـة والديموقراطيـة في المجتمـع المصـري، هذه القـوى التـي يستهين بعض المثقفـين بقدرتهـا علـى التكاتـف والنضال والعمـل المشترك والجرأة علـى التفكير من خـارج الدين، وهـي المتدينة بشـكل فطري سليلة هؤلاء الذين كانوا قد بلوروا الشعار الرئيس للثـورة الوطنية الكبرى عام ١٩١٩ "الديـن لله والوطن للجميع" . التفكير من خـارج الدين هـو مـا يخافه هـؤلاء المثقفون الذيـن اختـاروا إبقـاء المعركـة مـع اليمين الدينـي. المسنـود أمبرياليـا. إبقائهـا علـى أرضه هو فتكون النتيجـة المنطقية أن يظل هـو الأقـوى بأمواله ومرجعياتـه، وتظل الرؤية الموضوعية العلمية التاريخية للدين هشة هامشية وعاجزة عن الانتشار من أجل تغيير الوعـي، وإزاحة الوعي الزائف الذي ساعـدت في انتشـاره سياسـات الليبرالية الجديـدة، وثقافتهـا التجاريـة الاستهلاكية البائسة التي لم تتسـبب في انتشار الجوع المـادي فحسـب، وإنما أضافـت إليه الجوع الروحـي والثقـافي، فضـلاً عـن الانحطاط الأخلاقـي. إن المثقفين النقديـين وهـم مدعوون لمواجهة التطـرف، مدعوون أيضاً للتعامل مع الجذور الاجتماعية. الاقتصادية الفكريـة لنشأتـه كبديـل عن التحـرر، وهي قضية محورية تضع مسألة استخدام الدين في هـذا الصـراع في مكانهـا الصحيـح من الصراع الأشمل ضد الرأسمالية الاحتكارية التـي ولدت منها الإمبرياليـة، والتي هزمت حركة التحرر وألحقت بلدانها بمشروعات التبعيـة الشاملـة اقتصاديـاً وثقافيـاً باسم العولمة.

للبسار در

العبث بالرئاسة

□ حسين عبد الرازق

تواصـل المؤسسات الرسمية للدولـة المصرية تنفيذ خطتهـا لتأييـد بقـاء الرئيس عبـد الفتـاح السيسي في منصبـه كرئيـس للجمهوريـة لفـترة ثانيـة على الأقـل . وتقـوم هـذه الخطـة علـى ثلاثـة محـاور . الأول: محاولـة الاغتيـال المعنـوي وتلويث السمعة واصطنـاع القضايا لكل من تسول لـه نفسه الإعلان عن عزمه خوض انتخابات الرئاسة منافسا للرئيس الحالي والمقرر إجراؤها العام المقبل (٢٠١٨).

بدءاً بالنائب "محمد أنـور السادات" الذي تم فصله مـن البرلمـان بعـد إعلانـه نيتـه خوض انتخابـات الرئاسـة المقبلة، مروراً بالمحامـي العمالي والناشط الحقوقـي "خالـد علي" الـذي جرى تلفيـق تهمة له تسـيء لسمعته بـين المواطنين، وصـولاً إلى الفريق "أحمد شفيـق" الذي عاد لمصر أخيراً من الإمارات وتعرض لحملـة هجوم بمجـرد أن أعلـن أن عودته تمهيـداً للترشـح لرئاسـة الجمهوريـة، وإن كان يتحمـل هو جـزءاً مـن المسؤولية نتيجـة لتصرفاته وتصريحاتـه خلال الأيام القليلة التي سبقت ترحيل دولـة الإمـارات لـه مـن البـلاد. بعـد أن استضافته وأكرمتـه سنـوات طويلة. ترحيلـه إلى القاهرة على متن طائرة خاصة .

فالثلاثـة شنت عليهم أجهزة الإعـلام المملوكة للدولة أو المملوكـة لرجـال الأعمـال المرتبطـين بالسلطات الحاكمـة، حملة تشهير وتحقير تجاوزت كل الحدود المقبولـة والمتصـورة للصـراع السياسـي، وحولت انتخابـات رئاسـة الدولـة إلى ما يشبـه "خناقة في حوش بردق" .

المحور الثـاني: استمرار تجفيف الحيـاة السياسية واضعـاف الأحـزاب وحصارها وتجاهلها، بالرغم من النـص الدستوري علـى قيام الحيـاة السياسية والنظام السياسي " على أساس التعددية السياسية والحزبية، والتـداول السلمي للسلطة، والفصل بين السلطـات والتوازن بينها .. " فقـد أدار الرئيس عبد الفتـاح السيسـي ظهـره للأحـزاب السياسية طوال عامـي ٢٠١٦ ، ٢٠١٧، وبل وتجاهل الدستور القائم ومارس عملياً سلطات رئيس الجمهورية ، كما وردت في دستـور ١٩٧١ والتـي تجعل رئيـس الجمهورية هـو صاحب القرار السياسي والاقتصادي والإداري والتشريعـي الوحيـد في مصـر !.وساعـده في هذا التجفيف للحيـاة السياسية الضعف والخمول الذي أصـاب الأحـزاب السياسيـة وتنصـل قـادة أحزاب رئيسيـة بـين الانتمـاء للمعارضة، بمقولـة تعارض مـا نراه في غير صالح الوطـن والمواطنين ويؤيد ما يحقـق مصلحة الوطن والمواطنين، متجاهلين .عمداً .أن الرئيـس عبد الفتاح السيسـي وحكومته ينفذان سياسـات اقتصادية واجتماعية محـددة وواضحة، هي استمرار لروشتـة صندوق النقد الدولي والبنك الـدولي وهيئة المعونـة الأمريكيـة المطبّقة في مصر منـذ عام ١٩٧٤ ، والتي أدت لتوقف وتراجع التنمية الزراعية والصناعية وارتفـاع نسب الفقر والبطالة وشيـوع الفسـاد، وكانـت أحـد أهـم أسبـاب ثـورة ٢٥ ينايـر ٢٠١١ ، وموجتهـا الثانيـة في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ، وأن هـذه الأحـزاب تملـك برنامجـا بديـلا لبرنامـج الرئيس وحكومته، وتمسـك هذه الأحزاب ببرنامجهـا .للمرحلـة الانتقاليـة الحاليـة .يجعلها علـى وجه القطـع في موقع المعارضـة " . نفس الأمر بالنسبة للأوضـاع السياسية وقضيـة الديمقراطية والحريـات العامـة وحقـوق الإنسـان، فالدسـتور مـازال حبراً علـى ورق، لم تقـدم الحكومة ومجلس النواب على تحويل مواده وبنوده إلى قوانين نافذة والقوانـين المقيّـدة للحريـات العامـة والتـي تنتهك حقـوق الإنسـان مازالـت قائمة، بـل وأضيـف إليها قوانـين جديـدة . المحـور الثالث: القانـون الخاص بتنظيم الانتخابات الرئاسية وما يفرضه من شروط وقيود ، أهمهـا أن يكون من أصحاب الملايين، فالحد الأقصى الذي حدده القانون (مادة٢٢) كل مرشح هو "عشريـن مليون جنيه" هو في الواقع الحد الأدنى لأيّ معركة انتخابية تمتد من الإسكندرية إلى سيناء إلى أسوان، ولكن المشكلة أن القانون ألزم أي مرشح ألا يتجـاوز ما يتلقاه من تبرعات نقدية أو عينية من الأشخاص الطبيعيين المصريـين نسبة ٢٪ من الحد الأقصى المقـرر للانفـاق في الحملـة، أي أن المرشح يتحمل النصيب الأكبر في الانفاق على الحملة . ولم تكتـف الجهات الرسميـة الداعمة للرئيـس السيسي بكل ذلك، ورغم ضعف المنافسين حتى الآن، وبصرف النظـر عن عـدم الرضا الشعبي عمـا تحقق في فترة ولاية السيسي الحالية، فظهرت فجأة حملة "علشان نبنيهـا" وأصبح لها مقـرات في كل محافظات مصر، وعقـدت مؤتمـرات جماهيرية وقامـت بجولات في المصانع والشـركات الحكوميـة والخاصة، وطبعت استمـارات يوقـع عليهـا المواطنون، تؤيـد انتخاب الرئيـس عبد الفتـاح السيسي لفترة ثانيـة، كل ذلك قبل فتـح باب الترشيـح ومعرفة أسمـاء المرشحين، ومـا إذا كان الرئيس عبـد الفتاح السيسـي سيتقدم بالترشيـح أم لا. والأهم من ذلك مخالفـة المادة (١٨) من قانون الانتخابات الرئاسية، التي تحظر الدعاية الانتخابية قبل إعلان القائمة النهائية للمرشحين.

وفي ظني أن الذين يديرون هذه الحملة للرئيس عبد الفتاح السيسي يسيئون إليه بدلاً من جلب الدعم له، فعندمـا يقدم أنصار الرئيس على خرق القانون بهذا الوضـوح فسيحمل الـرأي العام الرئيـس مسئولية هذا التصرف الأحمق، ولن يستطيع الرئيس القول إنـه لا علاقة له بما يجري، فالأمور تتم علانية وعلى رؤوس الأشهاد كما يقولون، وهو وحده الذي يملك أن يوقف هذا العبث.. إن أراد .